

هوى النفس: دراسة قرآنية موضوعية

Self Inclination: a Qur'anic Thematic Study

محسن الخالدي

Mohseen Khaldee

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

بريد الكتروني: info@najah.edu

تاريخ التسليم: (٢٠٠٩/٢/٢٤)، تاريخ القبول: (٢٠٠٩/٩/٢٨)

ملخص

هذا البحث خطوة على درب الدراسات القرآنية التي لا تنقضي، يتحدث عن موضوع (هوى النفس)، كما عرضتها آيات القرآن الكريم، فهو يلقي الضوء على خطر هذه الآفة، ويبيّن أسباب اتباع الهوى، وصفات أهل الهوى، وعاقبتهم في الدنيا والآخرة. ويستخلص من خلال الآيات التي عرضت موضوع هوى النفس طرق الحماية والعلاج لهذا المرض الفتاك، ويبين خطورة اتباع الهوى على العقائد، وأهل العلم من خلال عرض نموذج لمن علم فلم ينتفع بعلمه، فاتبع هواه، وأخذ إلى الأرض.

Abstract

This research entitled "Self Inclination, a Qur'anic Thematic study", is regarded as a step following Qur'anic studies which don't end. It introduces a subject called (one's inclination) as it is mentioned in the Holy Qur'an, and it sheds the light on the danger of this sin and shows the reasons for following one's inclination, and characteristics of the followers of desires and their punishment in both present and later life. In addition, the research infers the protection and cure for this deadly disease as they are mentioned throughout the verses, and shows the danger of following one's inclination on the beliefs and those who know through introducing a model for those who know but without taking advantage of their knowledge, but follow their inclination.

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي أنزل الكتاب تبصرة لأولي الألباب، والصلاة والسلام على المبعوث حجة على أهل الزيف والارتياب، وبعد:

فإن المتأمل لكتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم قد حذر أيما تحذير من هوى النفس المخالف للشرع، فنهى عن اتباعه، وبيّن خطورته على الفرد والمجتمع.

فلو أتبع الحق أهواء الظالمين لنتج عنه فساد عريض يعم السموات والأرض، فاتباع الهوى في غير طاعة الله عز وجل خطر عظيم، وأفة تتطلب اليقظة والحذر والانتباه.

إن مرتكز الهوى هو النفس، فإذا تمكن الهوى من النفس فإنه يصقلها بما تهوى، ويجعل الشهوة قائدها إلى كل شر ورذيلة، وينهاها عن كل خير وفضيلة. فهوى النفس يبرر للشخصية المريضة المنكر، ويزين لها الباطل، ويقلب لها الأمور لترى المعروف منكراً، والمنكر معروفاً. فالمشرع لصاحب الهوى نفسه، هي الأمرة، وهي الناهية، فإذا انتهى صاحب الهوى إلى هذا الحال، فمآله أن يكون في صف من قال الله عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وكلما أرخى المرء لنفسه أن تنال من شهواتها، أسرته بنزواتها، وقد أنشد أحدهم قصيدة في ذم الهوى جاء فيها^(١):

يقولون لي اهجر هوائك وإثما	أكد وأسعى أن أقيم هوائيا
وكيف أطيق اليوم أن أهجر الهوى	وقد ملكته النفس مئي زانيا
تقودني الأيام في كل محنة	لدى طبع يبدو يهيج ذاتيا
فأصبت مأسورا لدى النفس والهوى	يشدان مني ما استطاعا وثاقيا

أعاذني الله وإياكم أن نكون بالستر مغرورين، وإلى أهل الأهواء مائلين.

ولما أن كان خطر هذا الداء عظيماً، فقد لجأت إلى كتاب الله عز وجل متدبراً آياته التي تكلمت في هذا الموضوع، متبعاً في ذلك منهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، وقد استعنت بكتب التفسير التي شرحت الآيات، وأخذت بعض أقوال السلف من كتب الأخلاق مما له علاقة مباشرة بالآية موضوع البحث، فمن الجميل أن نقف على صفات أهل الهوى من خلال القرآن، وما أودع الله عز وجل فيه من كنوز تكشف عن خفايا النفس الإنسانية وأسرارها، إنه خالق الخلق العالم بمكنونات النفوس، إذا وصف أهل الهوى فوصفه الصدق، وإذا ذكر علاج أهل الهوى فقولته الفصل.

من هنا فقد أحببت أن أكتب هذا البحث بعنوان:

(١) ذكر أبو نعيم في الحلية أنه من نشيد أبي عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي لنفسه، وهو أحد المتصوفة. انظر: الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، أبا نعيم (ت: ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي-بيروت، (ط٤/١٤٠٥هـ)، (٢٩٧/٩).

هوى النفس: دراسة قرآنية موضوعية

وقسمته إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة مطالب، وخاتمة على النحو الآتي:

- التمهيد: الهوى في اللغة، والإصطلاح، والسياق القرآني.
- المطلب الأول: أسباب اتباع الهوى.
- المطلب الثاني: صفات أهل الهوى.
- المطلب الثالث: عاقبة اتباع الهوى.
- المطلب الرابع: سبل حماية النفس من الهوى.
- المطلب الخامس: نموذج لمتبعي الهوى.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

وإنني أسأل الله العظيم أن يعصمنا بكتابه وسنة نبيه من شبهات أهل الباطل والأهواء، ومن اتباع الهوى بغير هدى منه .

وقد منّ الله عليّ بدراسة مصطلح (الهوى) في القرآن الكريم في بحث مستقل أفردته لذلك، فالهوى في القرآن الكريم هو ميل النفس إلى شهواتها مخالفة بذلك داعي الشرع^(١)، وقد جاء (الهوى) في القرآن الكريم في معرض الذم باستثناء موضع واحد قد يُفهم منه أن هوى النفس قد يوافق الحق^(٢) وذلك في قوله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [القصص: ٥٠]، وبالجملة، فالهوى حيث أطلق فهو مذموم، وقد جاء بحثي هذا استكمالاً لمسيرة التفسير الموضوعي في دراسة موضوع الهوى بعد أن أنهيت دراسته من جانب المصطلح القرآني

وأردت من خلال هذين البحثين أن أضع نموذجاً للتفسير الموضوعي لطلبتي وفق المنهجية العلمية في التوثيق والعرض.

وختاماً: لقد اجتهدت أن أصل ببحثي هذا غاية منشودة، وصورة مأمولة تليق بخدمة كتاب الله، فإن أصبت أو قاربت الصواب فمن توفيق الله ومثّبه عليّ، وإن جافيت الحق فمن نفسي الخطأ.

والله تعالى وليّ المتقين، وعصمة المستجيرين، والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر: الجرجاني علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، دار الكتاب العربي-بيروت (ط١/١٤٠٥ هـ) تحقيق إبراهيم الأبياري (ص: ٣٢٠).

(٢) تم الكلام عن هذا في بحث (الهوى، دراسة موضوعية للمصطلح القرآني)، وهو بحث محكم في مجلة (دراسات) في الجامعة الأردنية، وسينشر بإذن الله في المجلد (٣٨)، العدد (٢) والذي سيصدر في تشرين الثاني، (٢٠١١).

تمهيد: وفيه معنى (هوى) في اللغة، والاصطلاح، والسياق القرآني^(١).

أولاً: الهوى في اللغة

الهوى بالقصر مصدر هويته بمعنى أحببته وعشفته، تقول: هويَ يَهوي هَوًى، ورجل هَوٍ: ذو هَوًى، وامرأة هَوِيَّةٌ: لا تزال تَهوى^(٢).

ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء^(٣).

ومن معاني الهوى: الحب والعشق، ويأتي بمعنى الهبوط، أو الذهاب، والسرعة في طلب الشيء^(٤)، وعند التحقيق فإنها جميعها ترجع إلى معنى السقوط.

وقد أرجع ابن فارس مادة (هوى) إلى معنيين اثنين فقط أحدهما: الخُلُو، وأصله الهواء بين الأرض والسماء سمي لخلوه، وكل خالٍ هواء، والمعنى الثاني: السقوط بمعنى هوى الشيء يهوي: سقط^(٥).

ثانياً: الهوى في الاصطلاح

ذكر العلماء كثيراً من المعاني الاصطلاحية للهوى، وهي تتفق أحياناً، وتختلف أخرى، ولعل سرَّ اختلافها يعود إلى تحديد المراد من (الهوى) فهي كلمة تتعدد إطلاقاتها، ولا يفهم المراد من الإطلاق إلا من خلال السياق،

ومن هذه المعاني:

الهوى: بمعنى: هوى النفس، وبمعنى: حُب الخالق تبارك وتعالى، وعشق المحبوبة، والحُب، والبدعة، وأهل الأهواء، أهل البدع^(٦).

ويلاحظ أن جميع إطلاقات الهوى في الاصطلاح ترجع إلى ميل النفس إلى ما تحب، إن كانت الذات، أو الخالق، أو المحبوبة الخ، فجميعها ميل إلى المحبوب.

- (١) هذا التمهيد مستل باقتضاب واختصار من بحث: (الهوى دراسة موضوعية للمصطلح القرآني).
- (٢) انظر: الفراهيدي، أبا عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، حرف الهاء، باب الثلاثي اللفيف، (٤/١٠٥)؛ والفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت: ٧٧٠هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، مادة (هوى)، (٢/٦٤٣).
- (٣) الفيومي، المصباح المنير، (٢/٦٤٣).
- (٤) انظر: ابن منظور، أبا الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: ٧٥٠هـ)، لسان العرب، دار الفكر، ودار صادر-بيروت، (ط ١٠/١٤١٠هـ)، مادة (هوا) (١٥/٣٧١-٣٧٣).
- (٥) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر-بيروت، سنة ١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (٦/١٥).
- (٦) أفردتها بالتفصيل في بحث: (الهوى، دراسة موضوعية للمصطلح القرآني).

ثالثاً: مادة (هوى) في السياق القرآني

إن عدد السور التي أوردت مادة الهوى بالقصر إحدى وعشرون سورة^(١)، وبالمد سورة واحدة في موضع واحد، وبلغ تكرار اللفظ في المواضع المختلفة على اختلاف اشتقاقاته: ثمانية وثلاثين موضعاً.

ومن الملاحظ أن أكثر السور التي عرضت موضوع الهوى كانت سوراً مكية، خاطبت الهوى المتمكن من قلوب المشركين، جاء بعده في درجة ثانية هوى أهل الكتاب.

وقد تعددت معاني مادة (هوى) في القرآن الكريم، فوردت على المعاني الآتية: الخلو والفراغ^(٢)، والسقوط والنزول^(٣)، والهلاك^(٤)، وجهنم^(٥)، والميل، والمحبة^(٦)، والسرعة^(٧)، والتزيين^(٨)، وجميع هذه المعاني مقرررة في معاجم اللغة، وأضاف بعض المفسرين أن النفس بمعنى الهوى^(٩).... وفيه بُعد.

المطلب الأول: أسباب اتباع الهوى

إن أسباب اتباع الهوى متعددة متنوعة، عرض القرآن الكريم أهمها محذراً من اتباعها أو الاقتراب منها، وقد أفردتها في ثماني نقاط هي:

- (١) ورد لفظ الهوى على اختلاف اشتقاقاته في القرآن الكريم على النحو الآتي: (أهواءهم) (١٢) مرة في السور الآتية: (البقرة: ١٢٠، ١٤٥)، (المائدة: ٤٨، ٤٩)، (الرعد: ٣٧)، (المؤمنون: ٧١)، (القصص: ٥٠)، (الروم: ٢٩)، (الشورى: ١٥)، (محمد: ١٦، ١٤)، (القمر: ٣)، وورد لفظ (هواه) (٦) مرات في السور الآتية: (الأعراف: ٧٦)، (الكهف: ٢٨)، (طه: ١٦)، (الفرقان: ٤٣)، (القصص: ٥٠)، (الجاثية: ٢٣)، وورد لفظ (الهوى) (٤) مرات في السور الآتية: (النساء: ١٣٥)، (ص: ٢٦)، (النجم: ٣)، (النازعات: ٤٠)، وورد لفظ (أهواء) (٣) مرات في السور الآتية: (المائدة: ٧٧)، (الأنعام: ١٥٠)، (الجاثية: ١٨)، وورد لفظ (تهوى) (٣) مرات في السور الآتية: (البقرة: ٨٧)، (المائدة: ٧٠)، (النجم: ٢٣)، وورد لفظ (تهوي) (مرتين) في سورة: (إبراهيم: ٣٧)، و(الحج: ٣١)، وورد لفظ (هوى) (مرتين) في سورة: (طه: ٨١)، و (النجم: ١)، وورد مرة واحدة في كل من الألفاظ الآتية: (هوى)، في سورة (النجم: ٥٣)، و(استهوته)، في (الأنعام: ٧١)، و(أهواءكم)، في (الأنعام: ٥٦)، و(بأهوائهم): في (الأنعام: ١١٩)، و(هواه) في سورة (إبراهيم: ٤٣)، و(هاوية) في سورة (القارعة: ٩).
- (٢) وذلك في قوله تعالى: {مُهْطِعِينَ مُقْبِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً} [إبراهيم: ٤٣].
- (٣) وذلك في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ} [النجم: ١]، وقوله تعالى: {وَالْمَوْتَفِكَةِ أَهْوَىٰ} [النجم: ٥٣].
- (٤) وذلك في قوله تعالى: {وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ عِضْبِي فَقَدْ هَوَىٰ} [طه: ٨١].
- (٥) وذلك في قوله تعالى: {فَأَمَّهُ هَاوِيَةً} [القارعة: ٩].
- (٦) وذلك في قوله تعالى: {فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم: ٣٧].
- (٧) وذلك أيضاً في قوله تعالى: {فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم: ٣٧].
- (٨) وذلك في قوله تعالى: {كَأَلَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ} [الأنعام: ٧١].
- (٩) كما في قوله عز وجل: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣]. [ذكر بعض المفسرين أن المراد بالنفس هنا الهوى. انظر ابن عادل، أبا حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت: ٨٨٠هـ) الباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية-بيروت (ط ١٤١٩/١هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، (١٧٥/٦).

أولاً: ضعف المعرفة بالله

لو عرفنا الله حقاً ما عصيناه، ولو عرفنا قدرة ربنا علينا لأطعناه، ولجعلنا هواناً تبعاً لمحبتة ورضوانه، قال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٤].

قال ابن جرير: "أفمن كان على برهان وحقّة وبيان من أمر ربه والعلم بوحدايته، فهو يعبد على بصيرة منه بأن له رباً يجازيه على طاعته إياه الجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار {كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}"^(١).

ثانياً: اتباع وساوس الشيطان

إن الله تعالى لما خلق الإنسان ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بهما ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وأعطاه العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب.

وخلق الشيطان محرصاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على الإنسان أن يأخذ حذره من هذا العدو^(٢).

وقد حذرنا الله عز وجل من وساوس الشيطان، فقال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦].

وبيّن الله عز وجل أن الشيطان مصدر الهوى، قال تعالى: {قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٧١].

قال القرطبي: "استهوته الشياطين في الأرض حيران) أي: استغوته وزينت له هواه ودعته إليه"^(٣).

وقال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٤].

قال ابن جرير: "كمن زين له سوء عمله) يقول: كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلاً فهو على العمل به مقيم"^(٤).

- (١) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر-بيروت (ط سنة ١٤٠٥هـ) (٤٨/٢٦).
- (٢) انظر: ابن الجوزي، أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، تلبس إبليس، دار الكتاب العربي-بيروت (ط ١/٤٠٥هـ)، تحقيق د. السيد الجميلي (ص: ٣٣).
- (٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي-بيروت (ط ٢/٤٠٥هـ) (١٨/٧).
- (٤) الطبري، جامع البيان (٤٨/٢٦).

والملاحظ أن التزيين في الآية سابق لاتباع الأهواء، فبعد تزيين الشيطان يأتي اتباع الهوى، فهو تمهيد لتمكين الهوى في القلوب، قال أبو السعود: "... كمن زُيِّن له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح، واتبعوا بسبب ذلك التزيين أهواءهم الزائغة، وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه، فضلاً عن حجة تدل عليه"^(١).

إن الإنسان إذا استجاب لنداء الشيطان، واتبع هواه، تسلط الشيطان عليه، وصار قلبه عش الشيطان ومعدنه، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعته، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه، وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام، صار قلبه مستقر الملائكة^(٢).

ثالثاً: حُب النفس وتلبية رغبات الجسد

إن النفس بحاجة إلى مُجاهدة، ومجاهدتها ليست أمراً سهلاً إذا تربت على نزواتها وشهواتها، فرب شهوة ساعة أورثت صاحبها شقاء دهر في الدنيا، وعذاب نار في الآخرة، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع هوى النفس، فقال عليه الصلاة والسلام: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"^(٣).

فمن أرخى لنفسه هواها وتنبع مشتتهاها، صار عبداً مملوكاً لها، تأمره ولا يأمرها، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان: ٤٣].

وفي آية مشابهة لها في نظمها قال الله عز وجل: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

قال قتادة: " {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} قال: كلما هوي شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه"^(٤).

(١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، تفسير أبي السعود، الموسوم بـ(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي-بيروت (٩٥/٨).

(٢) انظر: الغزالي، أبا حامد، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة-بيروت (٢٧/٣).

(٣) أحمد، أبو عبد الله بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة-مصر (١٢٤/٤)، وأخرجه ابن ماجه، أبو عبدالله، محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٠)، (١٤٢٣/٢)، وأخرجه، الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى السلمي، (ت: ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، كتاب صفة القيامة، باب (٥)، رقم (٢٤٥٩) (٦٣٨/٤)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(٤) أخرجه: الطبري، جامع البيان (١٥٠/٢٥)، وابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، (ت: ٣٢٧هـ)، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (٢٧٠٠/٨).

وقال الثعالبي: "المعنى لا تتأسف عليهم، ومعنى: {اتخذَ إلهةَ هَوَاهُ} أي جعل هواه مطاعاً فصار كالإله"^(٥).

فاتباع الهوى نوع من الشرك؛ لأن المخلوق قدّم حبّ نفسه وتلبية نزواتها على حبّ الخالق عزّ وجلّ، فأصبحت الذات معبودة تسيّره في ملذاتها وشهواتها وتزيّن له الفجور، فتلبي الجوارح مطالب النفس الأمّارة بالسوء، تقتل، وتسرق، وتبطلش... تفعل المنكرات والجرائم، ويرى صاحب الهوى بعد ذلك كله أن الصواب والحق فيما

فعل، فالمعصية تعمي وتصم، وقد جاء هذا المعنى في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حبك الشيء يعمي ويصم"^(١).

وحذر عليه الصلاة والسلام أن يكون الهوى قائداً المرء، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى"^(٢).

ومن لطائف علم المناسبات مجيء سورة التكاثر بعد خاتمة القارعة، قال السيوطي: "هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها، كأنه لما قال هناك: {فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ} [القارعة: ٩] قيل: لم ذلك، فقال لأنكم (ألهائم التكاثر) فاشتغلتم بدينيكم وملأتم موازينكم بالحطام فخفت موازينكم بالأثام"^(٣).

فهوَيّ الإنسان في جهنم كان بسبب اشتغاله في الدنيا بهوى نفسه.

والأقوال المأثورة، والأشعار المنظومة في ذم تبعية النفس لهواها كثيرة جداً، ومن أشعارهم:

(٥) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ)، تفسير الثعالبي الموسوم بـ(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات-بيروت (١٣٦/٣).

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق محمد محي الدين، كتاب الأدب-باب في الهوى، رقم (٥١٣٠) (٣٣٤/٤)؛ والطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، دار الحرمين-القاهرة، (سنة ١٤١٥هـ)، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن إبراهيم (٣٣٤/٤)، والحديث ضعفه بعضهم، والأصح أنه يرتقي إلى الحسن، والله تعالى أعلم. انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت: ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة الرسالة-بيروت (ط٤/١٤٠٥هـ)، تحقيق أحمد القلاش، رقم (١٠٩٥) (٤١٠/١).

(٢) أحمد، المسند، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه (٤٢٣-٤٢٠/٤)، وأورده الهيثمي علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي-بيروت (ط٣/١٤٠٢هـ) (٣٠٦/٧) وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(٣) السيوطي، أبو الفضل، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، أسرار ترتيب القرآن، دار الاعتصام-القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا (ص: ١٥٧).

ما ذكره القرطبي (١) عن ابن دريد (٢):

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة
فدعها وخالف ما هويت فإنما
وكان إليها للخلاف طريق
هوأك عدو والخلاف صديق

وذكر القرطبي والثعالبي (٣) عن أبي عبيد الطوسي (٤):

والنفس إن أعطيتها مناها
والصواب أن هذا البيت لأبي العتاهية (٥).

ومن الأقوال المأثورة ما نقله الأصفهاني: "الرأي نائم والهوى يقظان، فإذا هوى العبد شيئاً نسي الله،... العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع، كم من عقل أسير في يدي هوى أمير" (٦).

رابعاً: الغفلة عن ذكر الله وعدم الاسترشاد بهديه

قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [الكهف: ٢٨]. قال ابن كثير: "أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا" (٧).

- (١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦٨/١٦).
- (٢) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر (ت: ٣٢١هـ) من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين-بيروت، (ط١/٦/١٩٨٦م) (٨٠/٦).
- ولم أجد البيتين فيما تيسر لي من كتب ابن دريد، وقد وجدتتهما في الموسوعة الشعرية منسوبين لأبي الفتح البستي، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف (ت: ٤٠٠هـ)، الموسوعة الشعرية-المجمع الثقافي- أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧-٢٠٠٣، قرص (C.D)، ونسبهما إليه أيضاً د. محمد مرسي الخولي في كتابه: أبو الفتح البستي حياته وشعره، دار الأندلس (ط١/٩٨٠م) (ص: ٢٨٤)،
- وذكرهما أبو عبيد البكري ولم يعزهما، انظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، موسوعة الرسالة-بيروت، (ط١/٩٨٣م)، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. عبد المجيد عابدين (ص: ٣٢٠). وأوردتهما الثعالبي في تفسيره بلفظ: "أنشدني أبو بكر الزيدي" (٣٦٣/٨).
- (٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦٨/١٦)، وذكره الثعالبي بإسناده عن أبي عبيد الطوسي، (٣٦٣/٨).
- (٤) علي الأرجح هو صخر بن عبيد بن صخر بن محمد، أبو عبيد الطوسي. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي-بيروت (ط١/١٤٠٧هـ) تحقيق، د. عمر تدمري (١٨٩/٣٧).
- (٥) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، أبو العتاهية (ت: ٢١١هـ)، والبيت له كما في الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي-أبو ظبي، (C.D) ولم أقف على البيت في ديوانه، وقد وجدت له في ديوانه المطبوع عدداً من الأبيات في ذم الهوى منها قصيدة بعنوان: (راكب هواه) مطلعها: مالي رأيتك راكباً لهواً أظننت أن الله ليس يراكا. انظر ديوان أبي العتاهية، دار صادر-بيروت، طبعة سنة (١٣٨٤هـ)، (ص: ٣٠٥).
- (٦) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار القلم - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: عمر الطباع (٣٠/١).
- (٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر-بيروت (ط سنة ١٤٠١هـ)، (٨٢/٣).

وهذا الإنسان الغافل عن ذكر الله يختم الله على قلبه، ويكون قريباً للشيطان، قال تعالى: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦]. ومن يكن الشيطان قريبه فهو بلا ريب لا يسترشد بهدي الله عز وجل، قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [القصص: ٥٠]. قال ابن الجوزي: "أي بغير رشاد ولا بيان جاء من الله" (١).

خامساً: الغفلة عن البعث والنشور

إن تذكر اليوم الآخر، يورث الخوف والمهابة في قلب المؤمن لعلمه أنه سيُجزى بين يدي الله عز وجل، وكلما ابتعد المرء عن اليقين باليوم الآخر قاده هواه إلى ما يهواه، فإذا انعدم الإيمان بالبعث والنشور، لم يعد للإنسان أي ميزان يحتكم به سوى هواه.

قال تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: ١٥-١٦].

يقول الله تعالى لموسى عليه السلام في هذه الآية: لا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة من لا يقر بقيامها، ولا يصدق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثواباً، ولا يخاف عقاباً، واتبع هوى نفسه، وخالف أمر ربه ونهيه فهلك (٢). وقال تعالى لداود عليه السلام: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦]، قال البيضاوي عند هذه الآية: "يسبب نسيانهم، وهو ضلالهم عن السبيل، فإن تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى" (٣).

سادساً: الجهل

أمرنا الله تعالى بالعلم حتى نعبدته عن معرفة، وأمرنا أن نرجع لأهل العلم بالسؤال إذا جهلنا، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧]. وقال تعالى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الروم: ٢٩]. وقال تعالى: {وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} [الأنعام: ١١٩].

ذكر المفسرون أن معنى بغير علم أحد أمرين (٤):

- (١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي-بيروت، (ط٣/٤٠٤هـ)، (٨٢/٣).
- (٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١٥٣/١٦).
- (٣) البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، تفسير البيضاوي الموسوم بـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، دار الفكر-بيروت، ط سنة (١٤١٦هـ)، تحقيق عبد القادر عرفات (٤٤/٥).
- (٤) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، أبو القاسم (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة-بيروت (٣٦/٢)، والبيضاوي، أنوار التنزيل (٤٤٧/٢)، والنسفي، أبا البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة الأموية-بيروت (٣٤٣/١)، والألوسي، محمود، أبا الفضل (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي-بيروت (١٤/٨).

الأول منهما: أن هؤلاء الكفار يَضِلُّون ويُضَلُّون بأهوائهم الزائفة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة مستند إلى الوحي.

الثاني: أنهم بغير علم أصلاً، وذكر هذا للإيدان بأن ما هم عليه محض هوى وشهوة.

وعلى التفسيرين فهذا هو الجهل بعينه، فالجهل على ثلاثة أضرب^(١):

الأول: خلو النفس من العلم، **والثاني:** اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، **والثالث:** فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً.

ولهذا فقد ذكّر المفسرون عند قوله: (بغير علم) أنه الجهل^(٢).

قال الشوكاني عند آية الأنعام: "هم الكفار الذين كانوا يحرّمون البحيرة والسائبة"^(٣) ونحوهما، فإنهم بهذه

الأفعال المبنية على الجهل كانوا يضلّون الناس فيتبعونهم، ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة لا يرجع إلى شيء من العلم"^(٤).

ومن هنا فالجهل بأنواعه الثلاثة تحقق في المشركين الذين يحكّمون أهواءهم، فنفسهم خالية من الحقائق، وسيرهم على غير هداية من الله، قال الله تعالى: { وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِنَ اللَّهِ } [القصص: ٥٠]، وهم يعتقدون الأمور على خلاف الحق، ففي آية الأنعام: { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ } [الأنعام: ١١٩].

(١) انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة-بيروت (ص: ١٠٢).

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، (٣٣٥/٤)، وكذلك هو عند الشوكاني كما سيأتي لاحقاً.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيّب قال: " البحيرة التي يُمنع دُرُّها لِلطَّوْأ غيبت فلا يَحْلُبُّها أَحَدٌ من الناس والسائبة كانوا يُسَيِّبُونَهَا لِأَلْهَتِهِمْ لَأ يَحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ". البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير-بيروت، (ط٣/٤٠٧/٣هـ)، تحقيق: مصطفى ذيب البغا، كتاب التفسير، باب: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة)، رقم (٤٣٤٧) (٤/ص١٦٩٠). وقد ذكر العلماء في وصفها أقوالاً كثيرة منها: أن البحيرة هي الناقة، وقيل: هي الشاة إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنّها، أي شقوها وتركت فلا يمسه أحد، أما السائبة فقد قيل: هي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سبيت فلم تتركب، ولم يجز ويرها، ولم يشرب لها لبن، وإذا ولدت بنتها بحرت أذها (أي شقت أذنّها) فالبحيرة بنت السائبة، وقيل: السائبة البعير يسبب بنذر على الشخص إن سلّمه الله من مرض أو شيء يتقيه، فلا يحبس عن رعي أو ماء، ولا يركبه أحد. انظر: "ابن حجر، أبا الفضل،

أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب (٨/٢٨٤-٢٨٥)، وابن منظور لسان العرب (١/٤٧٨).

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر-بيروت (٢/١٥٦).

قال القرطبي^(١): "يعني المشركين حيث قالوا: ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم بسكاكينكم (بغير علم) أي بغير علم يعلمونه في أمر الذبح إذ الحكمة فيه إخراج ما حرمه الله علينا من الدم بخلاف ما مات حتف أنفه، ولذلك شرع الذكاة في محل مخصوص، ليكون الذبح فيه سبباً لجذب كل دم في الحيوان بخلاف غيره من الأعضاء، والله أعلم".

فجهل المشركين جهل مركب فهم جاهلون، ويجهلون أنهم على ضلالة، والمشركون من بعد ذلك يخالفون الحق بأكلهم ما حرم الله أتباعاً لأهوائهم، قال ابن جرير: "وإن كثيراً من الناس) يجادلونكم في أكل ما حرم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة (ليضلون) أتباعهم (بأهوائهم بغير علم) منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوباً منهم لأهوائهم، وأتباعاً منهم لدواعي نفوسهم، اعتداءً وخلافاً لأمر الله ونهيه، وطاعة للشيطان"^(٢).

سابغاً: التقليد والاتباع الأعمى

إن من الآفات التي تغلق القلوب، وتلغي العقول: آفة التبعية العمياء التي ينساق إليها المرء لمجرد باعث المحاكاة والتقليد دون روية أو تفكير أو تدقيق أو تمحيص.

قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧]. ولا شك أن اتباع صاحب الهوى من غير برهان ولا بينة هوى، والخطاب في هذه الآية لأهل الكتاب الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم^(٣).

وقال الألوسي: "المراد لاتوافقهم في مذاهبهم الباطلة التي لم يدع إليها سوى الشهوة، ولم تقم عليها حجة"^(٤).

ثامناً: التقرب والتزلف إلى الأقرباء وأصحاب الجاه

كثيراً من الناس يحبون التقرب من أصحاب النفوذ وأصحاب المال والجاه طمعاً منهم أن يعمهم بعض ما عند أولئك من النعم، وكثيراً ما يكون هذا التقرب أتباعاً للهوى، وفيه مخالفة للشريعة أو العقيدة.

قال الله تعالى محذراً من الاحتكام إلى الهوى والعدول عن الحق: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: ١٣٥].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٧/٧).

(٢) الطبري، جامع البيان (١٣/٨).

(٣) انظر البغوي، أبا محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت: ٥١٦هـ)، تفسير البغوي الموسوم بـ(معالم التنزيل)، دار المعرفة-بيروت (ط٢/٤٠٧هـ)، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار (٥٥/٢)؛ وابن الجوزي، زاد المسير (٤٠٥/٢).

(٤) الألوسي، روح المعاني (٢١١/٦).

قال ابن جرير: "فلا تتبعوا أهواء أنفسكم في الميل في شهادتكم إذا قمتم بها لغني على فقير، أو لفقير على غني إلى أحد الفريقين، فتقولوا غير الحق، ولكن قوموا بالقسط، وأدوا الشهادة على ما أمركم الله بأدائها بالعدل لمن شهدتم عليه وله"^(١).

أمر الله تعالى بالعدل والقسط في الأجنبي والأقارب، وأمر بالتسوية بين الجميع في حكم الله تعالى، فأبطل ما كان عليه أمر الجاهلية من معونة القريب والحليف على غيره ظالماً كان أو مظلوماً"^(٢).

والمعنى: "لا تتركوا العدل اتباعاً للهوى والميل إلى الأقرباء"^(٣).

ومن هنا فإنه يجب على المسلم أن يشهد بالحق، وإذا حكم أن يحكم بالعدل بعيداً عن اتباع الهوى، فالحاكم لا ينبغي له أن يتبع هواه ولا يتعدى الحق إلى سواه، كما قال عز وجل لداود عليه السلام: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص ٢٦]، فإن الحاكم ليس رجلاً خصاً من بين الناس فقيل له: احكم بما شئت، فإن هذا لم يكن لملك مقرب ولا نبي مرسل، وإنما ائتمن على حكم الله تعالى، فلا يجوز له أن يحكم بين الناس بهواه"^(٤).

المطلب الثاني: صفات أهل الهوى

بين القرآن الكريم صفات أهل الهوى، وهي صفات تدل على نفسية مريضة متخبطة، بعيدة عن الفطرة السليمة، همها الأول إشباع نزوات النفس ورغباتها أياً كان الثمن، ولقد أبرزتها في سبع نقاط على النحو الآتي:

أولاً: الإفساد

قال تعالى: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٧١].

والمعنى هنا كما قال المفسرون: "الحق هو الله عز وجل، والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)، أي لفساد أهوائهم واختلافها"^(٥).

- (١) الطبري، جامع البيان (٣٢١/٥).
- (٢) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت: ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي-بيروت (ط سنة/٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (١٤٧/٣).
- (٣) المرجع السابق (٢٧٢/٣).
- (٤) انظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية-بيروت (ط ١/٤١٠هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (٧٢/٦).
- (٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٥١/٣)؛ وانظر: الشوكاني، فتح القدير (٤٩٤/٣).

ونقل بعض المفسرين أن المراد بالحق القرآن، أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد -على ما يعتقدونه- لفسدت السموات والأرض ومن فيهن^(١)، وعلى المعنيين فإن الله عزّ وجلّ لو استجاب لأهوائهم، أو أنزل القرآن وفق أهوائهم لعمّ الفساد.

ثانياً: التّكذيب والتزوير ومجانبة الحق

قال تعالى: {وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ} [القمر: ٣].

أي كذبوا بالحق إذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم، لقد آثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما جاءهم به من ربهم^(٢).

إن صفة التّكذيب هذه، وإن كانت مراتبها أعلى مراتب التّكذيب، وهي الشرك أو الكفر، فإنها تدل على أن صاحب الهوى إذا كان متبعاً لهواه في عظام الأمور، فلا يمنع أيضاً أن يتبع هواه في صغائرهما، ويكذب في أمور الوظيفة والعمل، والحياة الاجتماعية تلبية لهوى النفس.

وإذا كان التّكذيب واتباع الهوى في سورة القمر قد ذكر وصفاً للمشركين، فقد ذكر الله تعالى هذا الوصف لبني إسرائيل في قوله: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: ٨٧].

وقد تمادى المشركون في كذبهم حتى وصلوا إلى رتبة الكذب على الله والافتراء عليه، قال تعالى: {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأنعام: ١٥٠].

ويتجلى تزوير أصحاب الأهواء في افتراءهم أن الله حرم ما يُحرّمون على أنفسهم، فأخبر الله أنهم لو شهدوا كانت شهادتهم باطلة، ولا يجوز قبول شهادتهم لأنهم يقولون بأهوائهم^(٣).

وأما مجانبة الحق:

فهذه النقطة تدخل في دائرة التّكذيب، ومن ذلك:

قال تعالى: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنْ لَّمْ يَهْدِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٤٩-٥٠].

(١) البغوي، معالم التنزيل (٣/٣١٣)؛ وانظر: ابن الجوزي، زاد المسير (٥/٤٨٤).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٧/٨٨)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٢٦٤).

(٣) انظر: السمرقندي، أبا الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندي، المسمى (بحر العلوم)، دار الكتب العلمية-بيروت، تحقيق: الشيخ علي معوض، والشيخ عادل أحمد (١/٥٢٢).

لقد تكلمت هذه الآية عن قسمين اثنين: قسم يتبع الهوى، وقسم يتبع الهدى، أما القسم الأول، فهو الذي جانب الحق، وعدل عنه، واتبع الباطل ورضي به، وأما القسم الثاني فهو الذي أخلص لله رب العالمين، ورضي بمنهج الله قائداً وهادياً إلى صراطه المستقيم .

قال سيد قطب: "وإنهما لطريقان لا ثالث لهما: إما إخلاص للحق وخلوص من الهوى، وعندئذ لا بد من الإيمان والتسليم، وإما ممارسة من الحق واتباع للهوى، فهو التكذيب والشقاق ولا حجة من غموض في العقيدة، أو ضعف في الحجة، أو نقص في الدليل كما يدعي أصحاب الهوى المغرضون"^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى، وطول الأمل، أما اتباع الهوى، فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل، فيُنسي الآخرة"^(٢).

ثالثاً: النفاق

قال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَنِيئًا وَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } [محمد: ١٦].

نزلت هذه الآية في المنافقين الذين يستمعون إلى النبي عليه الصلاة والسلام، "والاستماع أشد السمع وأقواه، أي يستمعون باهتمام يظهر أنهم حريصون على وعي ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنهم يلقون إليه بالهم، وهذا من استعمال الفعل في معنى إظهاره لا في معنى حصوله"^(٣)، فهم في الحقيقة يستمعون بلا وعي ولا فهم منهم لما يقوله عليه الصلاة والسلام تهاوناً منهم بما يتلو عليهم من كتاب الله عز وجل، وتغافلاً عما يدعوهم إليه من الإيمان^(٤).

إن هذه التصرفات من المنافقين تدل على الغمز اللئيم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ما يقوله عليه الصلاة والسلام لا يفهم، أو لا يعني شيئاً يفهم، كما أنهم يعنون بهذا السؤال السخرية من احتفال أهل العلم بكل ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم، وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ ألفاظه^(٥).

(١) المرجع السابق (٣٥٦/٦).

(٢) الأصبهاني، حلية الأولياء (٧٦/١)، والبيهقي، شعب الإيمان، رقم (١٠٦١٣) (٣٦٩/٧).

(٣) ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ-بيروت (ط١/ ١٤٢٠هـ) (٨٣/٢٦).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (٥٠/٢٦).

(٥) قطب، سيد إبراهيم (ت: ١٣٨٧هـ)، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي (ط٧/ ١٣٩١هـ) (٤٦٠/٧).

رابعاً: الظلم والضلال^(١):

قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٥٠]، قال أبو السعود^(٢): "أي هو أضل من كل ضال" وقوله تعالى: (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى، والإعراض عن الآيات الهداية إلى الحق المبين".

وقال تعالى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} [الروم: ٢٩].

قال الشوكاني: "أي لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائفة وآراءهم الفاسدة الزائفة، ومحل (بغير علم) النصب على الحال، أي جاهلين بأنهم على ضلالة (فمن يهدي من أضل الله) أي لا أحد يقدر على هدايته لأن الرشاد والهداية بتقدير الله وإرادته"^(٣).

والملاحظ في الآيتين السابقتين أنهما قد جمعتا الظلم والضلال معاً، ولكن تقدم الضلال على الظلم في آية القصص، وتقدم الظلم على الضلال في آية الروم، وهما صفتان ملازمتان لمن اتبع الهوى.

إن من يسعى بهواه لإضلال نفسه وظلمها ليس بكبير عليه أن يبذل جهده لإضلال الآخرين وظلمهم، فالهداية لا تأتي من ظالم ضال، فالضال مضل، والظالم لنفسه لا يتوانى عن ظلم الناس.

خامساً: الاستكبار والقتل

قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: ٨٧].

"ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتوّ، والعناد، والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم"^(٤)، "فاليهود من بني إسرائيل كانوا إذا أتاهم الرسول بخلاف ما يهون كذبوه، وإن تهيأ لهم قتله قتلوه، وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة في الدنيا، وطلبهم لذاتها والترويس على عامتهم، وأخذ أموالهم بغير حق، وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك، فيكذبونهم لأجل

(١) والفرق بين الظلم والضلال: أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ويقال في مجاوزة الحق فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير، أما الضلال: فهو العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً. انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (ضل) (ص: ٢٩٧)، ومادة (ظلم) (ص: ٣١٥).

(٢) أبو السعود، تفسير أبي السعود (١٨/٧)، وهو عند الألويسي في روح المعاني (٩٣/٢٠).

(٣) الشوكاني، فتح القدير (٢٢٣/٤).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٢٣/١).

ذلك، ويوهمون عوامهم كونهم كاذبين، ويحتجون في ذلك بالتحريف وسوء التأويل، ومنهم من يستكبر على الأنبياء استكبار إبليس على آدم^(١).

سادساً: الفتنة والخداع

قال تعالى: {وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩].

والمعنى: احذرهم يا محمد صلى الله عليه وسلم مخافة أن يفتنوك، قبل في سبب نزولها: إن أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد لعننا نقتنه عن دينه، فقالوا: يا محمد: قد عرفت أنا أحبار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم، إن بيننا وبين قومنا خصومة فتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت^(٢).

قال البغوي: "ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما قصدهم التلبيس، ودعوته إلى الميل في الحُكم"^(٣).

سابعاً: الحيرة والتخبُّط

قال تعالى: {قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَظِرْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٧١].

والحيران هو الذي لا يهتدي لجهة أمره، وقد حار يحار حيراً وحيرة وحيرورة؛ أي تردد وتبلد في الأمر، ومنه الآية السابقة^(٤).

يقول سيد قطب: "إنه مشهد حي شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد، ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد والآلهة المتعددة من العبيد! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال، فيذهب في التيه حيران لا يدري أين يتجه، ولا أي الفريقين يجيب!

إنه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك، حتى ليكاد يحس ويلمس من خلال التعبير!، ولقد كنت أتصور هذا المشهد وما يفيض به من عذاب الحيرة والتأرجح والقلقلة كلما قرأت هذا النص ... ولكن مجرد تصور ... حتى رأيت حالات حقيقية يتمثل فيها هذا الموقف، ويفيض منها هذا العذاب حالات ناس عرفوا دين الله وذاقوه -أياً كانت درجة هذه المعرفة وهذا التذوق- ثم

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن البكري الطبرستاني، المعروف بابن الخطيب الشافعي (ت: ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، الموسوم بـ(مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ٣ (١٧٨/٣).

(٣) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل (٣٣٢/٢)؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/٦)؛ وابن الجوزي، زاد المسير (٣٧٤/٢).

(٣) البغوي، معالم التنزيل (٤٣/٢).

(٤) انظر: الأصفهاني، المفردات مادة (حبر) (ص: ١٣٥)؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨/٧).

ارتدوا عنه إلى عبادة الآلهة الزائفة تحت قهر الخوف والطمع ... ثم إذا هم في مثل هذا البؤس المرير ... وعندئذٍ عرفت ماذا تعني هذه الحالة، وماذا يعني هذا التعبير!"^(١).

المطلب الثالث: عاقبة اتباع الهوى

إن النفس البشرية تنقاد لصاحبها وتذل وتخضع، ويسلس انقيادها بالحزم والشدة وعدم التهاون، أما إذا أرخى المرء لنفسه العنان، فإنها تتطلع إلى الشهوات، وتتغمس فيها، وحينها يلبي المرء مطالب النفس التي لا تنقضي، وتورثه عواقب خطيرة حذر منها القرآن الكريم، أجلبها في النقاط الآتية:

أولاً: استحقاق العذاب الأليم

قال تعالى مخاطباً داود عليه السلام: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦].

في هذه الآية الكريمة أمر لداود عليه السلام أن يحكم بين الناس بالحق، وأن لا يجيد عنه بهوى من نفسه وإلا ترتب على ذلك ضلال، وعذاب أليم.

قال الزركشي: "مقدمتان ونتيجة، لأن اتباع الهوى يوجب الضلال، والضلال يوجب سوء العذاب، فأنتج أن اتباع الهوى يوجب سوء العذاب"^(٢).

ثانياً: استحقاق سخط الله والحرمان من النصر

قال تعالى: {وَكُلِّنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نُصِيرُ} [البقرة: ١٢٠].

هذا خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام بعدم اتباع أهواء أهل الكتاب، والفرق بين الولي والنصير: أن الولي قد يضعف عن النصر، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور، فيكون بينهما عموم من وجه، والمقصود: ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه، وهو جواب لئن^(٣).

وقال عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} [الرعد: ٣٧]. وهذه الآية كسابقتها، في النهي عن اتباع أهواء أهل الكتاب في البقاء على القبلة إلى بيت المقدس، وقيل: إنها في النهي عن اتباع أهواء

(١) قطب، في ظلال القرآن (٣/٢٨٠).

(٢) الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة-بيروت (ط: سنة ١٣٩١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (٣/٤٧٠).

(٣) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل (١/٣٨٠، ٣٩٣).

المشركين لأنهم دَعَوْهُ إلى ملة آبائه، والمعنى: لئن اتبعت أهواءهم مالك من عذاب الله من قريب ينفعك ولا واق يفيك^(١).

وفي هذه الآيات تحذير شديد للأمة أن تتبع أهواء أهل الكتاب وأهواء المشركين، ويأتي على قمة من يُنهي حُكام الأمة، وعلماءها، وذلك لأن الذي نُهي في هذه الآية إنما هو قائد الأمة، ومرجعية العلم فيها.

ثالثاً: الختم على القلب

قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٦].

أي إنهم لا يعقلون الخير، والمعنى أن الله طبع على قلوبهم، فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر، ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان، وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد، فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه^(٢).

رابعاً: الختم على السمع، والغشاوة على البصر

قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

وهذه النقطة تابعة لسابقتها. فالمعهود في استعمال الختم على القلب في الأسلوب القرآني أنه في شأن الكفار وذلك في جميع موارد اللفظ في القرآن الكريم^(٣)، ومن مكملات الختم على القلب الختم على السمع والبصر لأن الأصل فيها أن تكون منافذ الحق للقلب، فإذا كان القلب مقفلاً فهذه بلا ريب منافذ معطلة، أذن لا تسمع، وعين جفاها الاستبصار والاعتبار.

خامساً: الحرمان من هداية الله

وهي محصلة طبيعية ومنتمة حتمية للختم على القلوب والأسماع وجعل الغشاوة على الأبصار، ولذلك جاء في آخر آية الجاثية السابقة التي جمعت هذه العقوبات الثلاث لمُتَّبِعِ الهوى (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ)، وفي سورة الأنعام [٥٦] {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}.

(١) الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨ هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم- دمشق (ط١/ ١٤١٥ هـ)، تحقيق: صفوان داوودي (١/٥٧٥)؛ والبغوي، معالم التنزيل (٣/٢٢)؛ وابن الجوزي، زاد المسير (٤/٣٣٥).

(٢) انظر: النسفي، مدارك التنزيل (١/١٤).

(٣) انظر: ابن القيم، أبا عبد الله محمد بن أبي بكر (أيوب) المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، التبيين في أقسام القرآن، دار الفكر (ص: ١١٦).

وفي سورة القصص [٥٠] {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ فَاعِلٌ أَمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

سادساً: الدُّلُّ والخِيسَةُ

قال تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦].

فهذا الذي اتبع هواه معرضاً عن الآيات الجليلة قد انحط أبلغ الانحطاط، وارتدَّ أسفل سافلين، فمثله كمثل الكلب لأنه أخس الحيوانات وأسفلها، وقد مثل حاله أيضاً بأخس أحوال الكلب وأذلها حيث قال تعالى: {إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ} وهي حالة دوام اللهث في حالي التعب والراحة، فكأنه قيل: فتردى إلى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة.

وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية بأن يُقال: فصار مثله كمثل الكلب ... الخ، للإيدان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة، وكمال استقراره واستمراره عليها^(١).

سابعاً: الهلاك والشقاء

قال تعالى: {فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: ١٦].

الخطاب لموسى عليه السلام أي لا يصرفنك عن الإيمان بالساعة (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) أي فتهلك^(٢).

والهلاك والشقاء هنا لمن يتبع أصحاب الأهواء، فإنه إن اتبعهم أصبح منهم، وأصابه ما أصابهم.

ثامناً: فساد نظام الكون

قال تعالى: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون: ٧١].

إن متبع الهوى كما أسلفنا في صفات أهل الهوى هو إنسان فاسد مفسد، وفساده يتعداه إلى غيره، فإذا كثر أصحاب الأهواء في مجتمع ما، فإن مجتمعهم سيكون مجتمعاً فاسداً.

إن صفة واحدة من صفات أهل الهوى إذا ما انتشرت كفيلاً بإفساد مجتمع برمته، ولذلك وجب الأخذ على أيديهم، وعدم السماح لهم بالتمادي في أهوائهم.

(١) انظر: أبا السعود، تفسير أبي السعود (٢٩٣/٣).

(٢) انظر: البغوي، معالم التنزيل (٢١٤/٣)؛ والثعالبي، الجواهر الحسان (٢٦/٣).

المطلب الرابع: سبل حماية النفس من الهوى

أكد القرآن الكريم ضرورة مجاهدة النفس حتى تستقيم على أمر الله عز وجل، قال تعالى: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الشورى: ١٠-٩]، ومن مجاهدة النفس البعد عن الهوى وأصحاب الأهواء، فمن أحب الحق، وجب عليه بغض أصحاب الأهواء، وهناك كثير من الوسائل التي جاء بها القرآن الكريم لحماية النفس من الهوى، وهي:

أولاً: العلم

لقد تعددت المواضع التي نهت عن اتباع الهوى بعد مجيء العلم، لأن الأصل في العلم أن يكبح جماح الشهوة، ويدفع هوى النفس، فإذا وقع الهوى بعد العلم فهذه الكارثة، وذلك هو الضلال المبين، وهذه الآيات هي:

١. [البقرة: ١٢٠] {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.

٢. [البقرة: ١٤٥] {وَلَئِن أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِحُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}.

٣. [الرعد: ٣٧] {وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ}.

وقوله عز وجل: " (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) على سبيل الفرض والتقدير، أي: ولئن اتبعتهم مثلاً بعدما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي (إنك إذًا لمن الظالمين)، وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه: أحدها: الإتيان باللام الموطئة للقسم، ثانيها: القسم المضمر، ثالثها: حرف التحقيق وهو (إن)، رابعها: تركيبه من جملة فعلية وجملة اسمية، وخامسها: الإتيان باللام في الخبر، وسادسها: جعله من الظالمين، ولم يقل إنك ظالم لأن في الاندراج معهم إيهاً بحصول أنواع الظلم، وسابعها: التقييد بمجيء العلم تعظيماً للحق المعلوم، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستفظاعاً لصدور الذنب عن الأنبياء" (١).

إن اتباع الهوى بعد وضوح البرهان ظلم فاحش، وفيه تهييج للثبات على الحق، وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى (٢).

كما أن هناك آيات بينت أن اتباع الهوى كان سببه الجهل وغياب العلم، ومن ذلك: [الأنعام: ١١٩] {وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل (١/٤٢٣).

(٢) انظر: النسفي، مدارك التنزيل (١/٩٨).

{الروم: ٢٩} **بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟**

وهناك آيات شنت على متبع الهوى بغير هدى من الله، "أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله"^(١)، وهذا يتطلب العلم والاحتكام إلى الشرع، وعدم الميل مع شهوات النفس ونزواتها ما لم يكن لها دليل من الشرع، قال تعالى: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ}** [القصص: ٥٠].

وهناك آيات أخرى وضحت أن مَنْ كان على بينة من ربه لا يتساوى ومتبع الهوى نحو: **{أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}** [محمد: ١٤].

قال أبو نعيم: "إن الله تعالى خلق الهوى فجعله ضدًا للعقل، وجعل للعقل شكلاً وهو العلم، والهوى والباطل شكلان مؤتلفان قرينان يدعوان إلى مذموم العواقب للدنيا والآخرة"^(٢). فالعقل مناط العلم، وبالعلم يغلب المرء الهدى على الهوى، قيل لجعفر بن محمد: "ما الشيء الذي يعول عليه المرء؟"، قال: عقله الذي يرجع إليه فيه، قيل: فأين العقل من الهوى؟، قال: هما جميعاً في وعاء، قيل: فأيهما على صاحبه أقوى؟، قال: العدل من سلطان العقل، والجور من سلطان الهوى، والنفس بينهما، فمن أطاع عقله سدده وأرشده، ومن مال به هواه أضله وأهلكه"^(٣).

ثانياً: الاستقامة على شرع الله

قال تعالى: **{فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}** [الشورى: ١٥]، أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل^(٤).

فالذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممثلة لما أمرت به، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور، فإنهما ضدان، قال تعالى: **{كَذَلِكَ لِنُصِرْفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ}** [يوسف: ٢٤]. وقال عز وجل: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}** [الحجر: ٤٢].

فعباد الله المخلصون لا يغيوهم الشيطان، لأنهم استقاموا على شرع الله، والغبي خلاف الرشد، وهو اتباع الهوى^(٥).

فمن استعصم بالله تعالى عصم، ومن عصم حُجِبَ عن المعاصي، ومن استسلم إلى نفسه حجب عن الطاعة وغلبه الهوى، فسلك به سبيل الردى، واستحوذ عليه الشيطان فكان من الغاوين^(٦).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٩٤).

(٢) الأصبهاني، حلية الأولياء (٩/٢٨٧).

(٣) البيهقي، شعب الإيمان، رقم (٤٦٧٢) (٤/١٦٣).

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/١١٠).

(٥) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، الزهد والورع والعبادة، مكتبة المنار-الأردن، ط١/

١٤٠٧هـ)، تحقيق: حماد سلامة، ومحمد عويضة (ص: ٦٩).

(٦) انظر: الأصبهاني، حلية الأولياء (٩/٢٩٠).

وقال عز وجل: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} [القصص: ٥٠]، فالاستجابة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم تحمي من هوى النفس.

ثالثاً: الصبر ومجاهدة النفس

قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨].

في هذه الآية ثلاثة سبل لحماية النفس من الهوى: أو لاها: الصبر، وثانيها: ملازمة الذاكرين أو العابدين، أو طلبة العلم أو المصلين، وثالثها: مفارقة مجالس الباطل وأهله.

أما الصبر، فإنه عليه الصلاة والسلام أمر في هذه الآية أن يحبس نفسه مع الذين يدعون ربهم، وذكر الغداة والعشي كناية عن الاستمرار على الدعاء في جميع الأوقات^(١).

"فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه، وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر، فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى، فإذا كان مشركاً متبعاً هواه لم يكن صابراً ولا شكوراً فلا تكون الآيات نافعة له"^(٢).

قال إبراهيم بن أدهم -أحد العابدين-: "أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظاً ومعافى من أذاها"^(٣).

وقال القرطبي في تفسيره: "قال الحسن: هي والله عقبة شديدة: مجاهدة الإنسان نفسه، وهواه، وعدوه الشيطان، وأنشد بعضهم:

إنني بليت بأربع يرمينني
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى
يارب ساعدني بعفو إنني
بالنبل قد نصبوا علي شراكا
من أين أرجو بينهن فكأكا
أصبحت لا أرجو لهن سواكا"^(٤)

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (٢٨١/٣).

(٢) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية-بيروت (ط/٢/١٣٩٣هـ) (ص: ١١٣).

(٣) الأصبهاني، حلية الأولياء (١٩/٨).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢٠). وقول الحسن أورده الزمخشري في الكشاف (٢١٣/٤)، والرازي في التفسير الكبير (١٦٧/٣١)، والآيات التي ذكرها القرطبي أوردها بنحوها النفري، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن عباد (ت: ٧٩٢هـ)، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، دار الكتب العلمية - بيروت (ط/١٩٤١هـ)، وقد أوردها دون أن ينسبها لأحد (ص: ٢٩٦).

وهذا حال الإنسان العاجز عن دفع الآفات عن نفسه، فعليه أن يربي نفسه كما يربي الأب طفله، ويعودها على مخالفة ما تهوى من الأدنى فالأعلى، ومن الأصغر فالأكبر حتى يكسر نزواتها وشهواتها، فتصبح طيعة له يسوقها ولا تسوقه.

رابعاً: ملازمة الذاكرين والعابدين

فإنه يفهم من آية الكهف السابقة أن ملازمة الذاكرين أو العابدين أو المتعلمين تصقل شخصية المؤمن بالطابع الدعوي وتصونه من اتباع الهوى.

وقد ذكر المفسرون في معنى (مع الذين يدعون ربهم) أقوالاً عدة: منها أنهم المحافظون على الصلوات في الجماعة، أو الذين يجتمعون على قراءة القرآن، أو الذين يذكرون الله ويمجدونه بالثناء عليه^(١). وكل واحدة من هذه الخصال تصلح لحماية النفس من الهوى.

"فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي، فإن كان الحاكم عليه هو الهوى، وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً"^(٢).

خامساً: مفارقة مجالس أهل الأهواء

وهذا من قوله: {وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [الكهف: ٢٨] فإن المشركين كانوا يودون مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام ولكن بشرط طرده لضعفاء وفقراء المسلمين، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بعدم مجالستهم والإبقاء على مجالسة أهل الإيمان. روي في سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: لو أبعدت هؤلاء عن نفسك [أي فقراء المسلمين] لجالسناك، فنزلت الآية.

وفي رواية أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا نحب أن نجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جنناك فأقمهم عننا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت...^(٣).

روى عن الحسن وابن سيرين أنهما قالوا: "لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم"^(٤).

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٠٣/٧)؛ والألوسي، روح المعاني (٢٦١/١٥)؛ والشوكاني، فتح القدير (٢٨١/٣).

(٢) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) (ت: ٧٥١هـ)، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دار الكتاب العربي-بيروت (ط ١/٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض (ص: ٦٠).

(٣) انظر أسباب نزول الآية في: السيوطي، أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت: ٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم-بيروت (ص: ١٠١)؛ والبعوي، معالم التنزيل (٩٩/٢)؛ والألوسي، روح المعاني (٢٦١/١٥).

(٤) أخرجه الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (ت: ٢٥٥هـ) سنن الدارمي، دار الريان للتراث_ القاهرة، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد العلمي (ط ١/٤٠٧هـ)، المقدمة، باب: اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة رقم (٤٠١) (١٢١/١).

وعن أبي قلابة قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يُلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"^(١).

وكان الواعظ إذا جلس للناس قال العلماء: تفقدوا منه ثلاثاً، فإن كان معتقداً لبدعة فلا تجالسوه، فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيئ الطعمة فعن الهوى ينطق، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح، فلا تجالسوه"^(٢).

فمن أراد أن يبتعد عن الهوى فلا يسلك سبيله ولا يقرب أهله، ويندرج تحت هذا قراءة كتبهم، والترويج لأفكارهم، إلا إذا كانت القراءة لمعرفة ما هم عليه من الباطل من أجل الرد عليهم، وتقنيد شبههم، ودحض باطلهم، والإنكار عليهم حتى لا يندفع العامة بأقوالهم وأفعالهم.

وقد أمر الله عز وجل نبيه الكريم ومن تبعه من المؤمنين بعدم مجالسة أهل الباطل ما داموا في باطلهم، قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [الأنعام: ٦٧]، وقال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا جُلِستُمْ مَعَهُمْ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً} [النساء: ١٤٠]. والمعنى: "أنكم إذا جلستم معهم وأقررتهم على ذلك فقد ساويتهم فيما هم فيه"^(٣).

سادساً: تخويف النفس من الله

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: ٤٠-٤١].

"أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاه"^(٤).

قيل: هو الرجل يهمل بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها^(٥). والملاحظ هنا في هذه الآية أن الله تعالى قدّم خشيته والخوف منه على اتباع الهوى، قال الرازي: "واعلم أن الخوف من الله، لا بد وأن يكون مسبوقاً بالعلم بالله على ما قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]، ولما كان الخوف من الله هو السبب المُعين لدفع الهوى لا جرم قدّم العلة على المعلول"^(٦).

وعن إبراهيم بن أدهم قال: "الهوى يردي، وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هوائك إذا خفت من تعلم أنه يراك"^(٧).

(١) المرجع السابق، رقم (٣٩١) (١٢٠/١).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين (٩١/٢).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٤٥/٢).

(٤) المرجع السابق (٤٧٠/٤).

(٥) البغوي، تفسير البغوي (٤٤٥/٤)؛ وابن الجوزي، زاد المسير (٢٤/٩).

(٦) الرازي، التفسير الكبير (٥١/٣١).

(٧) أخرجه الأصبهاني، حلية الأولياء (١٨/٨)، و البيهقي في شعب الإيمان، رقم (٨٧٦) رقم (٥١١/١).

سابعاً: تحكيم شرع الله

تعددت الآيات التي ارتبط بها لفظ الهوى مع العدل أو الحكم بالعدل سواءً على صعيد الفرد أو المجتمع، ومن ذلك:

في سورة [النساء: ١٣٥]: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا}.

وفي سورة [المائدة: ٤٨-٤٩]: {.... فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ}، وفي الآية التي تليها: {وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُوا أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}.

وفي سورة [ص: ٢٦]: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}.

ومن هذا يلاحظ أن تحكيم شرع الله على مستوى الدولة يدفع الهوى من نفوس أفراد الأمة، فإذا حكم خليفة الله في الأرض بحكم الله دفع الهوى عن نفسه وعن رعيته.

ثامناً: تذكر ما أعدّه الله من الثواب لمن نهى نفسه عن الهوى

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: ٤٠-٤١].

إننا لو أدركنا حق الإدراك أمور الآخرة، وما أعدّه الله لمن نهى نفسه عن هواها ما عصيناها. ويتجلي ثواب من نهى نفسه عن الهوى في استحقاق عكس ما ذكرناه في عقوبة متبوع الهوى، فإنه يستحق نصر الله وتأييده، ويشرح الله صدره ويهديه... الخ.

تاسعاً: استحضار عاقبة اتباع الهوى

سبق أن بيّنا عواقب اتباع الهوى، والمتمثلة في: استحقاق العذاب الأليم، وسخط الله، والحرمان من النصر، والختم على القلوب والأسماع... الخ. ولو وقف صاحب الهوى مع نفسه وتذكر عاقبة أمره ما عصى ربه وأطاع شهوته.

قال الذهبي^(١) يعظ أسير الهوى، ويذكره بما أعدّه الله له من العذاب:

"يَا مَنْ أَسْرَهُ الْهَوَىٰ	فَمَا يَسْتَطِيعُ لَهُ فِكَالَا
يَا غَافِلًا عَنِ التَّلَافِ	وَقَدْ أَدْرَكَهُ إِدْرَاكَا
يَا مَغْرُورًا بِسَلَامَتِهِ	وَقَدْ نَصَبَ لَهُ الْمَوْتَ أَشْرَاكَا
تَفَكَّرْ فِي ارْتِحَالِكَ وَأَنْتَ عَلَىٰ حَالِكَ	فَإِنْ لَمْ تَبْكْ قَتْبَاكِي"

(١) الذهبي، محمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، الكبانر، دار الندوة الجديدة-بيروت (ص: ١٦٣).

إن المرء لو تدبّر الأذى الحاصل له بعد استجابته لهواه، وما حققه لنفسه من أتباعه الهوى، فإنه سيجد أن حسرة اتباع الهوى وألمه وعاقبته تفوق لذته التي سرعان ما تفتنى.

"إن العاصي دائماً في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة"^(١).

أخرج أبو نعيم عن بعض السلف: "أهون الأشياء وأكسرها لدواعي الهوى ذكر عظيم سوء العاقبة في تعجيل لذة الأشياء"^(٢).

عاشراً: التفكير في مصارع الأمم المتبعية للهوى

وهي نقطة متفرعة عن سابقتها، فهي من عواقب اتباع الهوى غير أن السابقة في استحضار متبع الهوى للعقوبة إذا نزلت به، وهنا في التفكير في عقوبات متبعي الهوى من الأمم السابقة وأن عسى أن ينزل به ما نزل بهم إن هو سار على دربهم، واقتدى بهم ففعل مثل فعلهم، والآيات في هذا الجانب كثيرة منها قوله تعالى: {وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ * أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٣-١٤].

وكذلك قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦].

هذه صورة جلية لمتبع الهوى بعد الهدى، وجاء في آخر الآية: (فاقصص القصص) فقد تسأل هنا: لماذا؟، فيأتي الجواب في قول الله عز وجل: (لعلهم يتفكرون) فيقودهم هذا التفكير إلى أخذ العبرة والعظة.

وهناك كثير من الآيات ذكرت ما أصاب أصحاب الهوى من الأمم والأقوام السابقة كعاد، وثمود، وفرعون، وقارون، وكيف كانت خاتمته مع ظلهم واستكبارهم واتباعهم الهوى.

حادي عشر: الدعوة إلى الله

وهذا يلاحظ من قول الله عز وجل: {فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى: ١٥].

(١) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية-بيروت (ص: ٥٣).

(٢) الأصبهاني، حلية الأولياء (٩٧/١٠).

فالدعوة إلى الله والعمل لهذا الدين العظيم يشعر المرء بمسؤوليته تجاه دينه، ويشعره بأنه صاحب رسالة تنأى به عن الهوى، فيأسر شهوته طاعة لربه، وخجلاً من نفسه، وحياءً من الناس أن يفعل ما ينهاهم عنه.

ثاني عشر: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم

لما كان الشيطان سبباً في اتباع الإنسان هواه_ كما أسلفنا_ فإن "الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب الهوى، فإنه يطيف به من أين يدخل عليه حتى يفسد عليه قلبه وأعماله، فلا يجد مدخلاً إلا من باب الهوى، فيسري معه سرعان السم في الأعضاء"^(١).

وقد أرشدنا الله تعالى في آيات كثيرة إلى أن من سبل الحماية من الشيطان الاستقامة على أمره، وكذلك التعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، قال تعالى: {وَأِمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠].

المطلب الخامس: نموذج لمتبعي الهوى

تعددت الصور التي عرضها القرآن الكريم لمتبعي الهوى، وهي صور تدخل مكنون النفس وتثير فيها كوامن الرغبة والرغبة، الرغبة في الابتعاد عن طريقهم ونهجهم، والرغبة مما آل إليه حالهم، إنها صورة مرعبة تزجر النفس عن اتباع نهج أصحاب الهوى.

إن كل قصة أوردتها الله عز وجل لمن طغى وتجبر، وكيف كان مصيره بعد العلو والاستكبار هي حكاية عن حال متبعي الهوى، ففي فرعون عبرة، وفي قارون عبرة، وفي عاد، وثمود.... الخ.

(١) ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١هـ)، روضة المحبين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: سنة (١٤١٢هـ) (ص: ٤٧٤).

ومن هذه الصور المتعددة سأختار حكاية ذلك الشخص^(١) البائس الشقي الذي اختار الهوى بعد الهدى على عكس ما يحدث، مخالفاً في ذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالناس يتلذذون بالهدى بعد الضلال!

قال تعالى: {وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَكَوْشَيْنَا الَّذِينَ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ كَذِبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ومن فاصلة الآية الكريمة نعلم أن قصص القرآن لم تكن للتسلية بأخبار الأمم الغابرة؛ إنما هي قصص للتفكير والتأمل، لقد شبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق شبهه بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات وأوضعها قدراً، وأخبثها نفساً، وهمته لا تتعدى بطنه،

(١) ذكر كثير من المفسرين أن الآية في بلعم (وقيل: بلعام) بن باعوراء، وكان مجاب الدعوة في أهل مدين، فلما أقبل موسى عليه السلام في بني إسرائيل لقتال الجبارين سأله قومه أن يدعو على موسى عليه السلام...، وهو الذي أمر قومه أن يخرجوا النساء إلى معسكر بني إسرائيل ليوقعوهم بالزنا فيستحقوا غضب الله تعالى. انظر: الطبري، جامع البيان (٩/١٢٤-١٢٦)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٦٨)، والشوكاني، فتح القدير (٢/٢٦٥).

قال ابن عساکر: "والمعروف في قول جمهور أهل التأويل أن قوله تعالى: {وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا} يعني بلعم بن باعورا الذي دعا للجبارين على موسى وبني إسرائيل، وقال بعضهم نزلت في أمية بن أبي الصلت..". ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، دار الفكر - بيروت (ط، سنة: ١٩٩٥م)، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري (١٠/٤٠٠).

وقال ابن حجر: "نزلت في أمية بن أبي الصلت، وروي من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي، وهو المشهور". ابن حجر: فتح الباري (١٠/١٨٣).

ومن الروايات الواردة في ذلك، ما أخرجه النسائي، والطبراني، والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الآية نزلت في بلعم بن باعوراء. انظر: النسائي، أبى عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت (ط١/٩٩١م)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، سورة الأعراف، باب: قوله تعالى: (الذي آتينا آياتنا...) رقم (١١٩٣)، (٣٤٨/٦)، والطبراني، أبى القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت، ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، مكتبة الزهراء - الموصل (ط٢/٩٨٣م) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، رقم (٩٠٦٤)، (٢١٩/٩)، والحاكم، أبى عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ) المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية - بيروت (ط١/٩٩٠م)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف، رقم (٣٢٥٨)، (٣٥٥/٢). وأورد الهيثمي رواية الطبراني وقال: "ورجاله رجال الصحيح". الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب التفسير، سورة الأعراف، (٢٥/٧). وأخرج ابن جرير في تفسيره عن جماعة أنه بلعم، أو بلعام، وعن غيرهم أنه أمية بن أبي الصلت. الطبري، جامع البيان (٩/١٢٠-١٢٦). وأياً كان من نزلت فيه الآية، فمن المؤكد أنها في كل من ضل بعد هدى أوتيه، فرداً كان أو قوماً.

وأشدها شرهاً وحرصاً، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم.... وهو من أحمل الحيوانات للهوان وأرضها بالدنايا والحييف^(١).

وهذه الآية مَثَلٌ لكلّ من أوتي القرآن فلم يعمل به، فظلم نفسه بإعراضه عن اتباع الهدى وطاعة المولى والركون إلى دار البلى، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى^(٢).

إنه مَثَلٌ عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه، وتأمّل ما تضمنته هاتان الآيتان من ذم، وذلك من وجوه^(٣):

أولها: أنه ضل بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً.

ثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً، فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها، وأضاف الانسلاخ إليه، فقال: (فانسلخ منها)، ولم يقل: فسُلخناه.

ثالثها: إن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: (فأتبعه الشيطان)، ولم يقل: تبعه، فإنّ في معنى أتبعه: أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.

رابعها: أنه غوى بعد الرشد، والغي والضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقتربنا فالفرق ما ذكر.

خامسها: أنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، وصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه. وفيه دليل على أن مجرد العلم لا يرفع صاحبه، فقد أخبر الله سبحانه أنه أتاه آياته ولم يرفعه بها، فالرفعة بالعلم قدر زائد على مجرد تعلمه.

سادسها: أنه سبحانه وتعالى أخبر عن خسة همته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى، فأخذ إلى الأرض، وهو سبب عدم رفعه بالآيات.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن اخلاص إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاص: اللزوم على الدوام.

وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إماماً له يقتدي به ويتبعه.

(١) انظر: ابن القيم، أبا عبد الله، محمد بن أبي بكر (أيوب) الزرعي، (ت: ٧٥١هـ)، الأمثال في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة- مصر.

(ط/ ١٤٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد (ص: ٢٧).

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢/٧)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٦٨/٢).

(٣) انظر: ابن القيم، الفوائد (ص: ١٠١)؛ وروضة المحبين (ص: ١٩٤).

وتاسعها: أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة، وأسقطها نفساً، وأبخلها وأشدّها كلباً، ولهذا سُمِّي الكلب كلباً، فمثل المتبع لهواه كمثل الكلب.

وعاشرها: أنه شبه لهثته على الدنيا وعدم صبره عليها، وجزعه لفقدائها، وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي الحمل عليه وتركه، فهو لهثان على الدنيا، وإن وعظ وزجر فهو كذلك، فاللهث لا يفارقه في كل حال، في حال الكلال، وفي حال الراحة، فضر به الله تعالى مثلاً لهذا الكافر الذي إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال.

إن هذا المثل عبرة وعظة لكل عالم أن يعمل بعلمه، وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار، والكلب، أما الكلب: ففيما ذكرنا تحت هذا المطلب بيان وتوضيح له، وأما الحمار: فقد جاء التمثيل به في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثُّرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥]، وهي في العلماء غير العاملين من اليهود^(١)

فعلى العالم أن يتفكر في خطورة اتباعه لشهواته وأن الخطر المحقق به أكثر من الخطر المحيط بغيره إذا كان متبعاً لشهواته وهواه، فإنه يحمل وزره ووزر من قلده وتبعه في ضلاله وغيه.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج:

أولاً: الهوى داء خطير، ووباله عظيم، وهو أساس كل رذيلة، ومثلاً كل فساد.

ثانياً: أسباب اتباع الهوى متعددة عرض القرآن الكريم أهمها، وهي:

١. ضعف المعرفة بالله.
٢. اتباع وساوس الشيطان، فالهوى مرتع الشيطان.
٣. حب النفس وتلبية رغبات الجسد، وهو نوع من الشرك لأن المخلوق قدّم محبة نفسه على حُب الخالق.
٤. الغفلة عن ذكر الله، وعدم الاسترشاد بهديه.
٥. الغفلة عن البعث والنشور.
٦. الجهل، وهو على ثلاثة أنواع: خلو النفس من العلم، واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، وعند التحقيق فالجهل بأنواعه تحقق في المشركين الذين غلبوا الهوى على الهدى.

(١) انظر: الجصاص، أحكام القرآن، (٣٣٥/٥).

٧. التقليد الأعمى.
٨. التقرب والتزلف إلى الأقرباء وأصحاب الجاه.
- ثالثاً: إن أصحاب الأهواء يحملون في جنبتهم نفسية مريضة، وأخلاقاً ذميمة تنذر بشرّ مستطير حذر القرآن منه أيّما تحذير، ومن صفات أهل الهوى:
١. الإفساد.
 ٢. التكذيب والتزوير، مجانبة الحق ومجافاته.
 ٣. النفاق.
 ٤. الظلم والضلّال.
 ٥. الاستكبار والقتل.
 ٦. الفتنة والخداع.
 ٧. الحيرة والتخبط والقلق، وما يلحق به من العذاب النفسي.
- رابعاً: أبرز القرآن العظيم عواقب اتباع الهوى، وهي عواقب وخيمة أبرزها:
١. استحقاق العذاب الأليم.
 ٢. استحقاق سخط الله والحرمان من النصر.
 ٣. الختم على القلوب.
 ٤. الختم على الأسماع، والغشاوة على الأبصار.
 ٥. الحرمان من هداية الله.
 ٦. الذلّة والخسّة.
 ٧. الهلاك والشقاء.
 ٨. فساد نظام الكون.
- خامساً: لما كان خطر هوى النفس عظيماً، فلا بد لنا من أن نلتمس طرق الوقاية والعلاج من خلال آيات القرآن الكريم، ومن أهم هذه السبل:
١. العلم.
 ٢. الاستقامة على شرع الله.
 ٣. الصبر ومجاهدة النفس.

٤. مُلازمة الذاكرين والعابدین وأهل التقوی والصلاح.
 ٥. مفارقة مجالس أهل الأهواء.
 ٦. تخويف النفس من الله عزّ وجلّ.
 ٧. تحکیم شرع الله.
 ٨. تذکر ما أعدّه الله عزّ وجلّ من الثواب لمن نهى نفسه عن الهوى.
 ٩. استحضار عاقبة ائباع الهوى.
 ١٠. التفكير في مصارع الأمم المتبعة للهوى.
 ١١. الدعوة إلى الله توقظ الحسّ الديني في النفوس، وتشعر المرء بواجبه تجاه دينه، فيغار على نفسه من هواها وهو يدعو النفوس إلى هداها.
 ١٢. التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
- سادساً: إن كل مفسد وضالّ هو صاحب هوى.
- سابعاً: لا فائدة من العلم إذا كان المرء حاملاً للعلم ولا يعمل بعلمه.
- ثامناً: مثل القرآن الكريم حال العالم الذي لا يعمل بعلمه بصورة أحسن الحيوانات وأذلها، وهي الحمار والكلب.
- وختاماً أذكر بما ختمت به مقدمة هذا البحث: لقد اجتهدت أن أخرج بحثي هذا بصورة تليق بالدراسات المتعلقة بكتاب الله، فإن أصبت فبتوفيق الله، وإن أخطأت فمن نفسي الخطاءة.
- والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل
والحمد لله رب العالمين

المراجع

- أحمد، أبو عبد الله بن حنبل الشيباني. (ت: ٢٤١). مسند أحمد. مؤسسة قرطبة-مصر.
- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. أبو نعيم. (ت: ٤٣٠). حلية الأولياء. دار الكتاب العربي-بيروت. (ط٤/١٤٠٥هـ).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (ت: ٥٠٢هـ). المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. دار المعرفة-بيروت.
- الألوسي، أبو الفضل محمود. (ت: ١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي-بيروت.

- البخاري، أبو عبد الله. محمد بن إسماعيل. (ت: ٢٥٦هـ). **صحيح البخاري**. دار ابن كثير- بيروت. (ط٣/١٤٠٧هـ). تحقيق: مصطفى ذيب البغا.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. (ت: ٥١٦هـ). **تفسير البغوي الموسوم بـ (معالم التنزيل)**. دار المعرفة-بيروت (ط٢/١٤٠٧هـ). تحقيق: خالد العك. ومروان سوار.
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (ت: ٦٨٥هـ). **تفسير البيضاوي الموسوم بـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**. دار الفكر- بيروت. ط سنة (١٤١٦هـ). تحقيق عبد القادر عرفات.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. (ت: ٤٥٨هـ). **شعب الإيمان**. دار الكتب العلمية- بيروت (ط١/١٤١٠هـ). تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة السلمي. (ت: ٢٧٩هـ). **الجامع الصحيح**. دار إحياء التراث العربي - بيروت. تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرين.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (ت: ٧٢٨هـ). **الزهد والورع والعبادة**. مكتبة المنار- الأردن. ط١/١٤٠٧هـ). تحقيق: حماد سلامة. ومحمد عويضة.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. (ت: ٨٧٥هـ). **تفسير الثعالبي الموسوم بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)**. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. (ت: ٨١٦هـ). **التعريفات**. دار الكتاب العربي- بيروت (ط١/١٤٠٥هـ). تحقيق إبراهيم الأبياري.
- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي. (ت: ٣٧٠هـ). **أحكام القرآن**. دار إحياء التراث العربي-بيروت (ط سنة/١٤٠٥هـ). تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (ت: ٥٩٧هـ). **تلبیس إبليس**. دار الكتاب العربي - بيروت (ط١/١٤٠٥هـ). تحقيق د. السيد الجميلي.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (ت: ٥٩٧هـ). **زاد المسير في علم التفسير**. المكتب الإسلامي-بيروت. (ط٣/١٤٠٤هـ).
- الحاكم، أبو عبد الله. محمد بن عبد الله النيسابوري. (ت: ٤٠٥هـ). **المستدرک علی الصحیحین**. دار الكتب العلمية - بيروت (ط١/١٩٩٠م). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ابن حجر، أبو الفضل. أحمد بن علي العسقلاني. (ت: ٨٥٢هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. دار المعرفة _ بيروت. تحقيق: محب الدين الخطيب.

- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. (ت: ٢٥٥هـ) سنن الدارمي. دار الريان للتراث - القاهرة. تحقيق: فواز زمرلي. وخالد العلمي (ط ١٤٠٧/١هـ).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (ت: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. دار الفكر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. شمس الدين. (ت: ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام. دار الكتاب العربي - بيروت (ط ١٤٠٧/١هـ) تحقيق: د. عمر تدمري.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين. (ت: ٧٤٨هـ). الكبانر. دار الندوة الجديدة- بيروت.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن البكري الطبرستاني. المعروف بابن الخطيب الشافعي. (ت: ٦٠٦هـ). التفسير الكبير. الموسوم بـ (مفاتيح الغيب). دار إحياء التراث العربي- بيروت. ط ٣ (١٧٨/٣).
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله. (ت: ٧٩٤هـ). البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة-بيروت (ط: سنة ١٣٩١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين- بيروت. (ط ١٩٨٦/٦م).
- الزمخشري، محمود بن عمر. (ت: ٥٣٨هـ). الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار المعرفة - بيروت.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. (ت: ٩٥١هـ). تفسير أبي السعود. الموسوم بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. (ت: ٣٧٥هـ). تفسير السمرقندي. المسمى (بحر العلوم). دار الكتب العلمية-بيروت. تحقيق: الشيخ علي معوض. والشيخ عادل أحمد.
- السيوطي، أبو الفضل. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (ت: ٩١١هـ). أسرار ترتيب القرآن. دار الاعتصام-القاهرة. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. (ت: ٩١١هـ). لباب النقول في أسباب النزول. دار إحياء العلوم-بيروت.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (ت: ١٢٥٠هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الفكر-بيروت.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (ت: ٣١٠هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. دار الفكر - بيروت (ط سنة ١٤٠٥هـ).
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب. (ت: ٣٦٠هـ). **المعجم الأوسط**. دار الحرمين-القاهرة. (سنة ١٤١٥هـ). تحقيق: طارق بن عوض الله. وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- الطبراني، أبو القاسم. سليمان بن أحمد بن أيوب. (ت: ٣٦٠هـ). **المعجم الكبير**. مكتبة الزهراء - الموصل (ط ١٩٨٣/٢م) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. (ت: ٨٨٠هـ) **اللباب في علوم الكتاب**. دار الكتب العلمية-بيروت (ط ١٤١٩/١هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين.
- أبو عبيد البكري، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**. موسوعة الرسالة-بيروت. (ط ١٩٨٣/٣م). تحقيق: د. إحسان عباس. ود. عبد المجيد عابدين .
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد. (ت: ٢١١هـ). **ديوان أبي العتاهية**. دار صادر_ بيروت. طبعة سنة (١٣٨٤هـ).
- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي. (ت: ١١٦٢هـ). **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**. مؤسسة الرسالة-بيروت (ط ١٤٠٥/٤هـ). تحقيق أحمد القلاش .
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي. (ت: ٥٧١هـ). **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**. دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥. تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري .
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (ت: ٥٠٥هـ). **إحياء علوم الدين**. دار المعرفة-بيروت.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. (ت: ٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**. دار الفكر-بيروت. سنة ١٩٧٩م. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن. الخليل بن أحمد. (ت: ١٧٥هـ). **كتاب العين**. دار ومكتبة الهلال. تحقيق د. مهدي المخزومي. ود. إبراهيم السامرائي.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ. (ت: ٧٧٠هـ). **المصباح المنير**. المكتبة العلمية. بيروت.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (ت: ٦٧١هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. دار إحياء التراث العربي-بيروت (ط ١٤٠٥/٢هـ) .

- قطب، سيد إبراهيم. (ت: ١٣٨٧هـ). **في ظلال القرآن**. دار إحياء التراث العربي (ط٧/١٣٩١هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. (ت: ٧٧٤هـ). **تفسير القرآن العظيم**. دار الفكر-بيروت (ط سنة ١٤٠١هـ).
- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (أبوب) الزرعي. المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ). **الأمثال في القرآن الكريم**. مكتبة الصحابة-مصر (ط١/١٤٠٦هـ). تحقيق: إبراهيم محمد.
- ابن القيم، أبو عبد الله. (ت: ٧٥١هـ). **التبيان في أقسام القرآن**. دار الفكر.
- ابن القيم، أبو عبد الله. (ت: ٧٥١هـ). **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**. دار الكتب العلمية-بيروت.
- ابن القيم، أبو عبد الله. (ت: ٧٥١هـ). **روضة المحبين**. دار الكتب العلمية-بيروت. ط: سنة (١٤١٢هـ).
- ابن القيم، أبو عبد الله. (ت: ٧٥١هـ). **الفوائد**. دار الكتب العلمية-بيروت (ط٢/١٣٩٣هـ).
- ابن القيم، أبو عبد الله. (ت: ٧٥١هـ). **الوابل الصيب من الكلم الطيب**. دار الكتاب العربي-بيروت (ط١/١٤٠٥هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.
- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ) **سنن ابن ماجة**. دار الفكر - بيروت. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: ٧٥٠هـ). **لسان العرب**. دار الفكر. ودار صادر-بيروت. (ط١/١٤١٠هـ).
- الموسوعة الشعرية- المجمع الثقافي- أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة. ١٩٩٧-٢٠٠٣. قرص (C.D).
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. **سنن النسائي الكبرى**. دار الكتب العلمية - بيروت (ط١/١٩٩١م). تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري , وسيد كسروي حسن.
- النفزي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد. (ت: ٧٩٢هـ). **غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية**. دار الكتب العلمية _ بيروت (ط١/١٤١٩هـ).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. (ت: ٧١٠هـ). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. المكتبة الأموية-بيروت.

- الواحدي، أبو الحسن. علي بن أحمد. (ت: ٤٦٨ هـ). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. دار القلم- دمشق (ط١ / ١٤١٥ هـ). تحقيق: صفوان داوودي .
- الهيثمي، علي بن أبي بكر. (ت: ٨٠٧ هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. دار الكتاب العربي-بيروت (ط٣ / ١٤٠٢ هـ) .